وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخاتمة

بعدما حططت رحالي من رحلتي العلمية مع الطوسي التي دامت أكثر من سنتين وأثمرت ألواناً من النور القرآني والفيض العلمي الذي أنار عقلي وشرح بالإيمان صدري . وفي هدي هذا النور لابدّ أن نجنيّ أهم الثمار التي أينع بها هذا البحث وهي كالآتي :

1 . تبين أن أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي من كبار شيوخ المسلمين وعلمائهم ، ولد وترعرع في طوس وتلقى علومه في بغداد حتى استوى رئيساً للعلم والعلماء ، ثمّ انتقل إلى النجف حيث أسس أول مدرسة علمية دينية . وخلّف تراثاً فقهياً وأصولياً وتفسيرياً زاخراً .

2 . وثبت أن لتفسير التبيان أهمية بالغة وقيمة علمية متميزة في تاريخ التفسير الاسلامي، وقد شهد له بذلك كبار مؤرخي العالم الإسلامي،واعتمد عليه بعض مشاهير المفسرين كالطبرسي .

3 . كشف البحث عن أهم السمات التكوينية لمفهوم الدلالة لدى علماء العربية من لغويين ونحاة وأصوليين وبلاغيين ومفسرين ، ثمّ استعرض المفاهيم الدلالية لدى المحدثين وبين أن البحث الدلالي هو من صميم عمل القدماء والمحدثين وفي أغلب الميادين الفكرية .

4 . سعى البحث إلى محاولة تأصيل المفاهيم الفكرية والأبعاد الدلالية لدى الطوسي إلى جذورها الأولى فكانت مزيجاً من الثقافات الإسلامية والفلسفية والمنطقية والكلامية .

5 . تبين أنّ مفهوم الدلالة لدى الطوسي قد اتسع وتداخل مع بعض المفاهيم الفلسفية كالعلامة والبرهان ، وجمع تحته أنواع الدلالات اللغوية وغير اللغوية . وارتكز على جملة من القضايا الدلالية ، أهمها: اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ، والفصل بين الإسم والمسمى ، ثمّ الفصل بين الكلام الفعلي والكلام النفسي ، وتأكيد ارتباط الكلام بالمكان الذي يميّز بين الوجود الحسّي المتمثل بالمرجع أو الشيء الخارجي ، والوجود المعنوي المتمثل بالفكرة أو الصورة الصوتية للدالّ .

6 . أثبت البحث أن الطوسي قال بجملة من المفاهيم اللغوية الدلالية التي جاء بها المحدثون بعد ستة قرون ، وهي قدرة الإنسان على توليد اللغة ، وأن موطن التوليد هو الفكر ،وأن بين اللغة والفكر صلة وثيقة تتمثل بعناصر المثلث الدلالي: الدليل اللفظي، والمدلول الفكري ، والمرجع الخارجي أو المدلول عليه .

7 . وتبين أن الطوسي قد أدرك الفرق بين المعنى والدلالة فالمعنى لديه هو ما يفهم من ظاهر النص بعد تفسير مفرداته لغوياً ، أمّا الدلالة فهي عملية الاستدلال على معانٍ أُخَر في النص ، كأن تكون مجازية أو فقهية أو تشريعية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

8 . يقوم البحث الدلالي على دراسة شاملة لعلوم العربية كافّة من صوت وصرف ونحوٍ ومعجمٍ معتمداً الألفاظ والتراكيب .

9 . أثبت البحث إحاطة الطوسي بجوانب دلالية في التأليف الصوتي للقرآن الكريم ، فقد أدرك أثر الاستبدال الفونيمي في تغير المعنى ما كان منه داخل تركيب الكلمة مثل الصوامت والصوائت ، وما كان منه خارج تركيبها مثل التنغيم . وأدرك أيضاً أثر الدلالة الصوتية في الإيحاء بالمعنى ، وأثر جرس الأصوات في إضفاء صفة التميز الفني والتلاؤم الموسيقي .

10 . أثبت البحث أن للطوسي دراية بالدلالة الصرفية وإحاطة بمعاني الأوزان الاسمية والفعلية ، وما يعتري الصيغ من زيادات بنيوية تغيّر المعنى ، والأثر الدلالي الذي تحدثه نيابة الصيغ بعضها عن بعض ، وأثر التغير المورفيمي في معاني الألفاظ .

11 . تبين أن ابن الأعرابي وثعلباً وأبا علي الفارسي وابن فارس لم ينكروا الترادف مطلقاً وإنما قالوا بندرة التام منه ، وحملوا أغلب المترادفات على أنها صفات .

12 . يقوم مفهوم الترادف لدى الطوسي على ركنين أساسين ،أولهما: ندرة الترادف التام ، والآخر: شيوع الترادف النسبي .وقد كشفت عن جذور نظرية الحقول الدلالية لدى القدماء ، فقد أرسى الطوسي بعض أصولها في تقسيمه الألفاظ إلى متماثلات ومتقاربات ونظائر ، وفي تقسيم كلٍّ منها إلى حقول معنوية مختلفة تجتمع في معنىً عام وتختلف في فوارق دلالية جزئية.

و يعتمد في كشف الفروق الدلالية بين الألفاظ عدة وسائل ، منها الرجوع إلى الأصل الاشتقاقي ، واعتبار الضدّ والنقيض ، واعتبار العموم والخصوص .

13 . تبيّن أن أغلب ألفاظ المشترك التي وردت في كتب القدماء تدخل في باب الوجوه والنظائر ؛ لأن المشترك اللفظي الحقيقي هو ما كان في أصل وضعه اللغوي يشترك في معان عدة ليس بينها صلة مجازية أو قرابة لغوية أو تعدّد لهجي ، وأن تدلّ جميعها على شيء واحد وباعتبار واحد .

وتبين أيضاً أن الطوسي لم يفرق بين الاشتراك الحقيقي والاشتراك المجازي فكلا النوعين من المشترك اللفظي لديه ، وقد أعطى للسياق والقرائن النحوية الأهمية البالغة في تحديد دلالة الألفاظ المشتركة والمتضادّة .

14 . ثبت في البحث أن التغير الدلالي في الألفاظ سمة عامة في اللغات البشرية ، يحدث تلقائياً وينتج عن تفاعل اللغة والبيئة والمؤثرات الخارجية ،إذ تخضع اللغة لوظيفتها الاجتماعية التي تؤثر على طبيعتها الرمزية في الدلالة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد أدرك الطوسي أثر الاستعمال في التغير الدلالي وعني بالجانب التاريخي في دراسة مفردات القرآن الكريم بدءاً بالأصل اللغوي ،ثمّ متابعة مراحل التطور الدلالي وصولاً إلى الدلالة القرآنية ، واستعمل مصطلح(أصل الباب) الذي يمثل المعنى العام المستخلص من جميع الألفاظ المشتقة من ذلك الأصل ، وهو يماثل (الاشتقاق الأصغر) عند ابن جني ، و(المقياس) عند ابن فارس ، و(المعنى المركزي)عند المحدثين .

15. تبيّن أن النحو نشأ مع نشأة الدراسات القرآنية ، وان كل المعايير التي وضعها علماء النحو كانت من أجل الحفاظ على ذلك النص العظيم .

16 . أكد البحث أنّ الدلالة التركيبية تقوم على ثلاث جوانب دلالية : النحوية والسياقية والبلاغية ، وهي تتآزر بعضها مع بعض في منح النص حيويته وفاعليته في التعبير عن المعنى المراد .

17 . زخر تفسير التبيان بمباحث علم المعاني وجوانب أخرى من الدلالة النحوية بشكل جليّ أخذ أبعاده الدلالية العميقة .

18 . أثبت الطوسي أن الخبر هو أصل الجمل ، وأن الأساليب الإنشائية تبنى عليه بإحدى الأدوات التعبيرية ، وفرّق بين الخبر والإنشاء معنوياً ولفظياً . وأدرك أثرالمخاطب في صياغة الكلام ، وفي توجيه الخبر وغرضه ، إذ يتنوّع الخبر تبعاً لتنوّع حال المخاطب .

19 . عني باسلوب الإنشاء وفرّق بين الأمر والدعاء ، وبين الأمر والنهي ، فشرط الأمر الاستعلاء ، وشرط النهي الزجر أمّا الدعاء فيرافقه التضرّع والتذلّل ، وأثبت أن أسلوب الاستفهام ناتج عن تحويل تركيب إخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة وتنغيم خاص، وأكّد أيضاً أن الاستفهام في أصله للاسترشاد والاستعلام الذي يمثل البنية السطحية له، وقد يخرج إلى دلالات أخر تمثل البنية العميقة له .

20 . تبين أن الطوسي عني بدلالة الجمل الاسمية والفعلية والشرطية ، وأثبت أنّ الأولى تدلّ على الثبوت والدوام ، على حين تدلّ الثانية على تجدّد الحدث ، وتقريبه والإشعار بتحقق وقوعه ، والمبالغة في تصوير وقوع الفعل . وسمّى الجملة الشرطية : الجملة المركبة ، تشبيهاً بالجملة الاسمية التي خبرها جملة ،وأوجب في الشرط أن يرتبط بالجزاء ، وشبّه العلاقة بينهما بعلاقة المبتدأ والخبر .

21 . تخضع الجملة لمعيار الرتبة الذي تحكمه ثلاثة أمور ، هي: تصور المتكلّم، وحاجة المتلقّي ، وتوخّي الصياغة المثالية للجملة وقد أشار الطوسي إلى جملة أغراض دلالية تتحقق بأسلوب التقديم والتأخير مثل :التخصيص ، والعناية بالمقدّم ، وتقديم الأعرف ، وتقديم السبب على المسبب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

22 . اشترط الطوسي في القول بالحذف أن لا يكون ذكر الكلام المحذوف مخلاً بالمعنى وأن يكون حذفه لدلالة مقصودة كالإيجاز وفهم السامع والمبالغة والإفادة من السياق .

23 . تبيّن أن الإعراب من أهم الظواهر المميزة للغة العربية وتعدّ لغة القرآن من أقوى الأدلة على أثر الحركات الإعرابية في المعنى لأن عمق معانيه ودقة أحكامه توجب تحديد الموقع الإعرابي لكلّ كلمة في الآيات .

24 . اتخذ الطوسي القراءات وسيلة لتوجيه المعاني المقصودة في القرآن الكريم وأعرب كثيراً من الألفاظ والتراكيب ، مبيناً الوجوه النحوية المتباينة التي يتباين على إثرها المعنى الذي عليه المدار في الإعراب ، والنحو لديه تابع للمعنى ،إذ يرجِّح الوجه الإعرابي الذي يتفق ومبادئ الدين الإسلامي وأصول الشريعة .

25 . من أهمّ نتائج فصل الدلالة النحوية أنّ الطوسي قد سبق المحدثين إلى القول بأن لكلِّ جملة بنيتين :سطحية وتتمثّل بظاهر النص ، وعميقة وتتمثّل بمعناه الباطن أو الثاني ، وأدرك أيضاً أنّ لكلِّ جملة نواةً تتولّد عنها عدّة جملٍ ، وأنّ لبعضها جملتين نواتين مختلفتين .

26 . تبين أنّ للسياق أثر بالغ في تحديد دلالات الألفاظ والتراكيب ، وله ثلاثة أنواع : اللفظي والحالي والعقلي ، وقد استعمل الطوسي مصطلح القرينة للدلالة على السياق اللفظي الذي يمثل مجموع الألفاظ المصاحبة للفظ المراد تفسيره ، سواء أكانت متأخّرة عنه أم متقدّمة عليه أم مكتنفةً من جانبيه .

27 . واستعان بالسياق الحالي الذي يشمل جميع الظروف والأحوال والمناسبات المحيطة بالنص ، ومنها أسباب النزول التي تكشف عن الظروف الحقيقية المحيطة بالآية القرآنية وتكشف بجلاء عن معناها المقصود .

28 . واستعان أيضاً بالسياق العقلي الذي يعتمد العقل والاستنباط ،وهو لديه وسيلة للوصول إلى الدلالة تقع خارج النص وبعيداً عن ظروفه المحيطة به ، واتخذه وسيلة في تفسيره لنفي صفات التجسيم عن الذات الإلهية ونفي كلّ ما يقدح بعصمة الأنبياء وكذلك في إثبات الحقائق العلميّة المؤيّدة لحقائق الإيمان .

29 . للقرآن نظمه الخاص المميز إذ تترابط آياته وألفاظه ترابطاً معنوياً وثيقاً يقوم على أساس التناسب الدلالي الذي يكون بين الألفاظ والفواصل القرآنية والآيات التي ترد فيها، وبين الآيات أنفسها في السورة الواحدة إذ تتابع على أساس معني بحت .

30 . تطرأ على التراكيب ظاهرتا العموم والخصوص بتوافر صيغ كلّ منها فإذا توافرت ألفاظ العموم منحت الجملة دلالة عامة وإذا توافرت ألفاظ الخصوص منحت الجملة دلالة خاصة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

31 . بين الطوسي أن للعموم غرضين أساسيين هما إطلاق الأحكام الشرعية ، والمبالغة وإرادة الكثرة كماً وكيفاً ، وأنّ للتخصيص أغراضاً أخرى منها الدلالة على شهرة المخصص وعلى شرفه ، و الدلالة على الترغيب ، وعلى الزجر والتهديد .

32 . وأثبت أن للسياق بأنواعه أثراً بالغاً في تخصيص العام ، وفي تعميم الخاص ، وفي تقييد المطلق .

This file was downloaded from QuranicThought.com